الخطاب الحسيني الشريف في الطف "قراءة في وسائل الإقناع البلاغية"

الأستاذ الدكتور
عهود عبد الواحد العكيلي
جامعة بغداد ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ ابن رشد

المقدمة:

ما انفكت ثورة الإمام الحسين عليه السلام تثير تساؤلات كثيرة في ذهني، وكلما تأملتها وتفرَّست في قراءة أحداثها ومفارقاتها وجدت فيها جديدا لم انتبه إليه في القراءة التي سبقتها، فلا تنقضي عجائبها ولا تنتهي كراماتها لمن آمن بها وببطلها الذي لم أرَ له نظيرا بين الخلق سوى الأنبياء الذين تميَّز كل واحد منهم في طريقة دعوته وتبليغه وتفرَّد فيهما.

فلم يكن الإمام بطل حرب وحسب بل كان داعية لله تعالى فيها مبرزا لتوحيده ناصحا للضالين من عبيده وكان يكره أن يبدأ مناوئيه بقتال، ويبالغ في نصيحتهم بل يبكي عليهم؛ لأنه يراهم سيدخلون النار بسببه، وقد لفت أنتباهي مرارا محاولاته الكثيرة لإقناعهم بخطأ سبيلهم من خلال الحجج التي لم يفتأ يعرضها عليهم، بوسائل وطرق مختلفة لعلَّهم يرجعون عن غيهم، ولكن هيهات فتلك قلوب قاسية قد عشعش فيها الشيطان وفرَّخ، أصحابها صمٌّ بكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون.

ولم يمنعه أنه كان يعرفهم على حقيقتهم منافقين يعصون الله ما أمرهم ويعبدونه على حرف، لكن أمله في عودتهم إلى جادة الصواب لم ينقطع رجاء هداية الله تعالى، وإن كان يعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

لقد قرأت الخطاب الحسيني قبل واقعة الطف وفي أثنائها فوجدت تنوعا في الأساليب وتركيزا على وسائل الإقناع التي لم يدّخر الإمام وِسْعا في طَرْق مختلف أنواعها، كما أنه لم يكن على وتيرة واحدة فقبل الطف كان هناك تمهيد وإيضاح لضرورة الرجوع إلى الله وتصحيح المسار الإيماني والرجوع إلى نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، وفي واقعة الطف وجدنا له خطبتين رويتا عنه وفي أسلوبيهما اختلاف يدل على إدراكه أهمية مراعاة المواقف عند الخطاب واستعمال الأساليب المناسبة لذلك.

الفصل الأول

((الإمام الحسين عليه السلام الإمام المصلح))

المبحث الأول

الإمام الحسين عليه السلام الشخصية الرسالية

كان الإمام الحسين عليه السلام رجلاً رسالياً واعياً أهمية وجوده في الحياة والغاية منه، مدركا أثره في أداء الأمانة التي حملها له الله تعالى، والعمل من أجل الوصول إلى الأهداف السامية التي لابد من تحقيقها كما أمر رسول لله صلى الله عليه وآله، ليكون خط الإمامة متواصلا مع خط النبوة

إن ما وهبه الله تبارك وتعالى للإمام الحسين عليه السلام من مزايا فريدة من التمكن في العربية وبلاغتها قوة الشخصية وعلو الهمة وتوقد الذكاء وقوة الحافظة وسرعة البديهة والقدرة على الإقناع زيادة على صفاته الوراثية من كرم الأصل والنباهة والصلاح وحب الله تعالى والدعوة إليه وإذهاب الرجس عنه وعن آل بيته وتطهيرهم منه. لا ريب إن في ذلك كله لأثرا بالغا في نشأة هذه الشخصية الرسالية الفريدة وبنائها وتأثيرها منقطع النظير في كل من عرفها ممن عاصرها أو ممن قرأ آثارها إذ ابتعد في عنصر الزمن عنها.

ولما كان أهل البيت ومنهم الأمام الحسين على هذه الدرجة من الاصطفاء والاستخلاص؛ لذا تبيَّنت الغاية من إعداد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السلام وأخيه الإمام الحسن الزكي من قبل؛ ((لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة و الهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين...))[1].

لقد هيأ الإمام الحسين عليه السلام الأسباب التي تمكّنه من أداء رسالته والقيام بنهضته المباركة على أكمل وجه من خلال علمه الواسع الذي دأب على تغذيته بحفظه القرآن الكريم وتدبُّر آياته ومعرفة كل ما يخصه من جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى عليه السلام وأمه الزهراء عليها السلام. وحضوره مدارسة رسول الله صلى الله عليه وآله أباه الإمام علي عليه السلام، يتضح ذلك مما ذكره سليم بن قيس الهلالي عند إشارته إلى عناية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

بالقرآن الكريم ومتابعته لكل صغيرة وكبيرة فيه ابتداء من يوم نزول أول آية فيه ومراجعته مع رسول الله ﷺ ومذاكرته معه كل يوم ومعرفة دقائقه وخفاياه، فينقل سليم قول الإمام مجيبا عن سؤال وجِّه له حول تلقُّفه القرآن من رسول الله ﷺ: ((وكنت أدخل على رسول الله ﷺ في كل يوم دَخْلَةً وفي كل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وربما كان ذلك في منزلي يأتيني رسول الله ﷺ.... فإذا كان في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة ولا احد من ابنيَّ))[٢]، وهذا يدل على مقدار علم أمير المؤمنين ع والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمعلمهم رسول الله الذي لا ينطق الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى علَّمه شديد القوى، ولا ريب فهم أهل البيت عليهم السلام وحُقَّ لهم أن يكونوا عدل القرآن كما أشار إلى ذلك رسول الله في حديث الثقلين: ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض))[٣].

ولما كان الإمام على خلق عظيم، وفي أعلى مراتب الإيمان بالله تعالى؛ لذا كان في أحلك الظروف داعيا إلى الله تعالى، مفصحاً عن نهجه الإصلاحي، أستشف ذلك مما أوصى به الإمام الحسين عليه السلام أخاه محمد بن الحنفية قائلا: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي))[٤].

فسيرة جده المصطفى الإصلاحية أخرجت الناس من الظلمات إلى النور من ظلمات الجهل والشرك والظلم والعدوان والضغائن إلى أنوار الهداية والتوحيد والعلم والعدل والمحبة والصلاح.

وسيرة أبيه المرتضى عليه السلام في نهجه الإصلاحي الذي برز في خطابه السياسي والوعظي وفي مناجاته لربه فلقد شغلته قضية إصلاح الناس والدين والمجتمع وإصلاح علاقة العباد

بربهم وملكت عليه روحه ووقته و سخر لها نهجه وحياته حتى التحق بالرفيق الأعلى تبارك وتعالى، فمما ورد في خطاب له وعظ فيه الناس حاثا إياهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قوله عليه السلام مناجيا: ((اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان، ولا التماسا من فضول الحطام ولكن لنريَ المعالمَ من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظَلَمَةُ عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم. وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.))[٥].

فكان نهج الإمام الحسين سائرا على تلك الخطى النيِّرة، ومن ينفذ من وراء السطور إلى فكره الحكيم عليه السلام يجد دعوة حقَّة لله، وسعة في الرؤية وحيوية في المعالجة لا تليق إلا بمن نذر نفسه ليكون حلقة في سلسلة التغيير من أجل أن يصبح الإنسان جديرا بحمل الأمانة وإحسانها، وعمارة الأرض وارتقاء سكانها.

وكان لابد له من إيصال مبتغاه بطريقة مقنعة من خلال لغة خطابية تحتوي وسائل إقناعية تجعل سامعيه مؤمنين بما يحاورهم به؛ وبم أن كل خطاب يهدف إلى الإقناع بقضية معينة لابد من استعمال كل وسيلة ممكنة في ذلك، وتأتي الصياغة اللغوية البلاغية لتساعد على الإقناع والإمتاع في الوقت نفسه، وقد وضح ذلك أرسطو فقال: لا يكفي أن نعرف ماذا نقول بل لابد أن نعرف كيف نقوله ببيان بليغ؛ حتى نؤثر في عواطف السامعين[٦].

وأكبر دليل على حب الإمام الحسين لله تعالى ما ذكره الرواة من وصف ليلة العاشر من المحرم : ((قال الراوي: وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد))[٧] فهل من حب لله أكثر من المبيت في أنواع العبادة؟؟

المبحث الثاني

هيأته وذكره اللّه تعالى ومحادثة الخصوم من أجل الهداية

حاول الإمام أن يستقطب انتباه الناس بوسائل مختلفة منها ما يخص الهيئة المرافقة للكلام التي ظهر بها للناس، ومنها ما يخص الخطاب والوسائل التعبيرية التركيبية التي تتميز

بلفت الانتباه كالاستفهام الإنكاري وأنواع توكيد الأخبار والقَسَم بحسب تقديره لدرجة تصديقهم لها؛ وبما أنهم قوم لدٌّ، لذا حاول أن يصل إليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ إيمانا منه بضرورة إيضاح الصورة الحقيقية للناس بعد أن زيف الإعلام الأموي مآربه وأعطاها إطارا شرعيا ووصف الإمام الحسين عليه السلام بالخارج على أمر الخليفة من دون الإشارة إلى السبب الحقيقي لثورة الإمام الحسين الإصلاحية ولضرورة إلقاء الحجة عليهم حتى لا يلام يوما أنه قصَّر في التبليغ

١ـ هيئة الإمام الحسين عليه السلام التي ظهر بها للناس،

إن ما لفت انتباهي ما نقله الرواة عند وصفهم هيئة الإمام الحسين عليه السلام التي ظهر بها للناس، المرافقة للكلام فقد لبس عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وتقلَّد سيفه، لتدل هيئته على قرابته من رسول الله وللشبه الكبير الذي بينه وبين جده، فمن يجرؤ على قتاله بهذا الشكل فقد تجرأ على قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما أنهم قريبو عهد برسول الله وفيهم من رآه وفيهم من صحابته، وأنهم سمعوا قوله صلى الله عليه وآله: ((وَقَالَ حُسَيْنٌ مِنِّي وأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ))[٨].

((وقد نص على تعمده ارتداء عمامة رسول الله وتقلد سيفه عندما حاجج الأعداء قائلا: ((قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلده؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لا بسها؟

قالوا: اللهم نعم.))[٩].

والكثير منهم ممن شهد صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله يتذكرون عندما: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم ذات يوم يصلى بالناس فاقبل الحسن والحسين رضى الله عنهما وهما غلامان فجعلا يتوثبان على ظهره إذا سجد فاقبل الناس عليهما ينحيانهما عن ذلك قال دعوهما بأبي وأمي من أحبني فليحب هذين))[١٠] وفي حديث آخر: ((سُئِلَ رَسُولُ اللهِ :أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: ادْعِي ابْنَيَّ، فَيَشُمُّهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ.))[١١].

فبعد هذا التذكير بأنه من أهل البيت عليهم السلام وأنه سبط من الأسباط وقد ارتبط حب الله وحب رسوله به وبأخيه الإمام الحسن الزكي عليه السلام - وسيأتي تفصيل ذلك - وما رأوه رؤيا العين بما يذكّرهم بسمت النبي وهيئته هل للأعداء من عذر في قتال الأمام الحسين عليه السلام؟

لقد أدرك لا ريب من الإمام بفكره الثاقب أهمية توضيح الحقائق وبيان معالم ثورته المباركة من خلال إلقاء الحجة على الخصوم بما تقدَّم من وصف وحوار وبما سيأتي من الاستفادة من طاقات اللغة العربية في إفحام الخصم وإيضاح معالم نهضته المباركة. ليس لمعاصريه وحسب وإنما هي دروس للأجيال القادمة ومنها عصرنا الحالي الذي نحن أحوج ما نكون لمثال يحتذى في رفض الظلم ومقارعته والثورة عليه مهما علا صوته.

الفصل الثاني

تآزر مباحث البلاغة في تقديم وسائل الإقناع

المبحث الأول

وسائل الإقناع التركيبية

ورث الإمام الحسين عليه السلام من جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه الزهراء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم التمكن من ناصية القول والعلم بما في اللغة من أساليب بلاغية مؤثرة وكانت الأساليب التركيبية أكثرها لفتا للانتباه كاستعمال أساليب الطلب كالاستفهام الإنكاري والأمر والنداء، واستعمار الأخبار الطلبية والإنكارية التي يكثر فيها التوكيد بأنواعه المختلفة لكي يزيل شك الخصوم في نواياه والإنكار الذي تظاهروا به نتيجة مجاهرته بخطه الإصلاحي الديني المناوئ لخط من نصبوا أنفسهم خلفاء على الناس وهم أبعد الناس عن الله تعالى.

لقد قدر أعداء الإمام الحسين مدى تأثير كلامه فهم يدركون أنه أمضى من سيوفهم وأشد إيلاما من هزيمتهم العسكرية وأشد تأثيرا من كيدهم ومكرهم وألاعيبهم؛ لذا حاولوا عدم فسح المجال له بالكلام عندما طلب من عمر بن سعد الحديث إلى الناس، فلما ألح عليهم سمح عمر بذلك على مضض بدا على ذلك الخطاب ألوان من انتقاء التراكيب وامتزاج الأساليب التركيبية بالأساليب البيانية والبديعية السياقية بحيث يصعب فصلها

والحديث عنها منفردة، وكان من أظهرها:

الاستفهام: من المعروف أنَّ الاستفهام هو طلب الفهم إذا كان حقيقيا على وجه الاستعلاء والإلزام، وقد يخرج إلى غايات بلاغية منها لفت الانتباه، والملاحظ على خطبة الإمام الحسين مع خصومه محاولة التعريف بنفسه عن طريق الاستفهامات المتكررة مع امتزاجها بالتوكيد بإنَّ حيث قال لهم: ((فقام عليه السلام واتكأ على قائم سيفه ونادى بأعلى صوته، فقال: ((أنشدكم الله هل تعرفونني؟

قالوا: اللهم نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه.

قال: ((أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟)).

قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة ابنت محمد؟)).

قالوا: اللهم نعم.

قال: ((أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب؟)).

قالوا: اللهم نعم.))[١٢] بعدها انتقل إلى التعريف بعائلته المؤمنة الكبرى قائلا: ((أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً؟)).

قالوا: اللهم نعم.

قال: ((أنشدكم الله هل تعلمون أن حمزة سيد الشهداء عم أبي؟)).

قالوا: اللهم نعم.

قال: ((أنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟))[١٣]

وهكذا من أجل أن يقرُّوا بأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه وأهله أصل الإيمان وحملة الدين وأن من يقاتله منافقون وطلاب دنيا، ولقد أدانهم من أفواههم.

بعدها أخذ يوازن بين ما هم عليه في الدنيا وما يمكن أن يؤول أمرهم في الآخرة قائلاً: ((قال: ((أنشدكم الله هل تعلمون أن علياً عليه السلام كان أول الناس إسلاماً وأجزلهم علماً

وأعظمهم حلماً وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟)).

قالوا: اللهم نعم.

قال: فبم تستحلون دمي وأبي صلوات الله عليه الذائد عن الحوض غداً، يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر على الماء، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة؟!!

قالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً!!!))[١٤].

وإذا دخلنا إلى معاني هذا النص وجدنا تقابلا كبيرا بين نهج الإمام الأخروي ونهج خصومه عبيد الدنيا، وإذا تفحصنا تركيبه وجدنا أنه آزر بين الاستفهام في ((فبم تستحلون دمي)) وبين الجملة الحالية في : ((وأبي صلوات الله عليه الذائد عن الحوض غداً)) مقربا صورة ذلك الذود من خلال التشبيه المتعانق مع الحال في : ((يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر على الماء، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة؟!!)) فلقد أراد بيان البون الشاسع بين ماء الدنيا الفاني وماء الآخرة المستديم لكنهم لم يعيروا لذلك أهمية فأجابوا بما يدل على نفاقهم: ((قالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً!!!)) فلقد بدا التوكيد من خلال استعمال قد مع الفعل الماضي التي تدل على التحقيق، والجملة الحالية في: ((ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً!!!)) فيتضح من ذلك أن هؤلاء المناوئين للإمام الحسين عليه السلام ومن نصَّب نفسه خليفة على المسلمين لا علاقة لهم بالدين وأن ادعاءاتهم وشعاراتهم واضحة التزييف، وبان ذلك من خلال اعترافاتهم.

المبحث الثاني

تآزر وسائل الإقناع السياقية والبيانية

اتضح استثمار الإمام الحسين عليه السلام لوسائل الإقناع السياقية والبيانية في خطبتيه كلتيهما لكنه برز في الخطبة الثانية أكثر؛ لذا اختلف أسلوب خطابه في خطبته الثانية بعد أن وثق من عدم الجدوى من هدايتهم، وبانت ألفاظه الشديدة ذات الجرس القوي التي تنمُّ عن شدة تناسب هول الموقف، وبرز فيها الوعيد الشديد بإذلالهم وإهلاكهم كما فعل بالأمم التي كذبت الأنبياء عليهم السلام فجعلهم الله أحاديث ومزَّقهم كل ممزَّق قال: ((تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علنا سيفاً لنا في ايمانكم،

وحششتم علينا ناراً اقتد حناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم أولياء لأعدائكم على أوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم.))[١٥].

فيتضح من النص الآتي:

- الدعاء عليهم بالإهلاك ودوام الحزن ((تبا لك أيتها الجماعة وترحا))؛ لما بدر من ضيق آفاقهم وعمى بصائرهم لأنهم طلبوا النجدة صارخين من هول الظلم والجور فلما أجابهم الإمام الحسين مؤازرا ناصحا قادما لنصرتهم خذلوه وقاتلوه من أجل الباطل، وهذا هو فعل المنافقين ناكثي العهود.
- استعمال الألفاظ ذات الجرس القوي مع تكرار أصواتها من خلال الجناس الاشتقاقي في قوله: ((استصرختمونا، فأصرخناكم))

والتوازي الصوتي في: ((والهين وموجفين)) وهما بصيغتي الحال لإبراز سرعة النجدة.

ومنها الكلمات الويلات - مشيمٌ، والجأش، ضامرٌ، يستحصف)) في قوله: ((فهلا - لكم الويلات - تركتمونا والسيف مشيمٌ والجأش ضامرٌ والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطير الدبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشرار الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الآثام، ونفثة الشيطان، ومطفئ السنن، أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟!))[١٧].

والملاحظ على هذا النص الآتي:

- بدا فيه الإمام غاضبا جدا من هؤلاء الذين لم يتركوا الإمام بل دعوه بكتبهم الموقَّعة حتى إذا جاءهم حاربوه ناكثين بعهودهم، إذ أعاد الدعاء عليهم بأكثر من أسلوب في قوله: ((لكم الويلات)، و(فسحقاً لكم)
- وصفهم بأوصاف الشر المتتالية مستعملا النداء وهو من أساليب الطلب التي تسترعي الانتباه في: ((يا عبيد الأمة، وشرار الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الآثام، ونفثة الشيطان، ومطفئ السنن))

- استعمال التجسيم والتجسيم وهما من خصائص الاستعارة المكنية في قوله: ((عصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئي السنن)).

التضاد عند وصفه حالهم في قوله:

((عضدوا الأشرار وتركوا الأخيار))

- استعمال التشبيه المتتالي الذي يبين ذلك صفة إسراع الأشرار لدعوة الإمام وأهل بيته في قوله: ((ولكن أسرعتم إليها كطير الدبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش))[١٨].

- العودة إلى التضاد في قوله: ((أجل والله غدرٌ فيكم قديم وشحت عليه أصولكم، وتأزرت عليه فروعكم))[١٩] للدلالة على أن الغدر مركوز في أصولهم متوارث في خصالهم، وسيستمر فيهم ليظهر في فروعهم الخبيثة التي ستمضي في نهج الإيذاء لآل النبي صلوات الله عليهم أجمعين.

- استعمال الإجمال والتفصيل والتكرار في قوله: ((ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة، والذلة، وهيهات منا الذلة،))[٢٠].

فقد أجمل في قوله: اثنتين وفصّل في قوله: ((بين السلَّة والذِّلَّة)) مبينا أنهم لن يختاروا الذلة؛ لأنهم عنوان الكرامة: ((وهيهات منا الذِّلة))، وتلك كلمة ذهبت شعارا للأحرار. وقد بيَّن السبب في عدم اختيار الذِّلة بقوله: ((يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون)) أي أن الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ورسوله لا يرتضيه لهم لأنهم أولاد أنبياء وأئمة معصومون كما لا يرتضيه المؤمنون لأنهم مثلهم الأعلى .

كما لا ترتضيه أصولهم الطيبة التي تأبى الذل والخنوع ولا يرتضيه إباؤهم وحميتهم ((وحجور طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية: من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)).

فهذه النصوص تظهر امتزاج أساليب البلاغة بعلومها الثلاثة في إبراز الإقناع.

- لقد تضمن التفصيل جناسا ناقصا بتغيير الحرف الأول في (السلَّة والذِّلة) وتكرارا

لكلمة الذلة ركز فكرة إبعاد هذه الصفة عن هذا البيت النبوي الطاهر.

- استعمال ثلاث تشبيهات في تعبير تضمَّن توكيدات متعددة في قوله ((أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس)) فقد بيَّن أنهم ليسوا ماكثين في دولتهم إلاَّ قليلا)) موضحا أن بناءها هش قلق وقد عزَّز صورة الدوران بتشبيهين بيَّنا دوران الأحداث عليهم، في قوله: ((حتى يدور بكم دور الرحى ويقلق بكم قلق المحور)) وكانت التشبيهات الثلاثة غرضها بيان مقدار حال المشبه أي حال البقاء وكيفيته. وقد تآزر مع التوكيد في ((أما، والقسم والله))؛ ليتيقَّن السامع من وقوع ذلك وأنه عهد من الله لرسوله أبلغه أمير المؤمنين للإمام الحسين عليه السلام.

ـ استعمال الاقتباس القرآني في قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[٢٠].

وهو اقتباس بالنص؛ ليذكِّرهم بأن مصيرهم الهلاك كمصير من خالف الأنبياء ومنهم قوم النبي يونس عليه السلام وليدلل على استحضار الإمام لكتاب الله تعالى؛ لتعزيز الحجج بوصف التناص القرآني وسيلة مهمة من وسائل الإقناع.

الخاتمة ونتائج البحث:

ـ بعد هذه القراءة المتأنية لخطاب الإمام الحسين عليه السلام، وما فيه قدرة كبيرة على الإقناع أسفر البحث عن مجموعة من النتائج، أهمها:

- لقد أدرك لا ريب من الإمام بفكره الثاقب أهمية توضيح الحقائق وبيان معالم ثورته المباركة من خلال إلقاء الحجة على الخصوم بما تقدَّم من وصف وحوار وبما وهبه الله من نبوغ تمكن من خلاله من تسخير طاقات اللغة العربية والإفادة من البنى التركيبية في إفحام الخصم وإيضاح معالم نهضته المباركة. ليس لمعاصريه وحسب وإنما للأجيال القادمة التي أعطاها دروسا، ومن بينها عصرنا الحالي فنحن أحوج ما نكون لمثال يحتذى في رفض الظلم ومقارعته والثورة عليه مهما علا صوته وكثرت سطوته.

- إنَّ أهم ما ميَّز خطاب الإمام الحسين عليه السلام الآتي:

أولاً: فصاحة الألفاظ وبلاغة العبارات والدقة في استعمال كل أسلوب في موضعه بحسب ما يقتضي السياق على وفق مقتضى الحال.

ثانياً: كثرة حمد الله تعالى في خطابه بأنواعه المختلفة ومنه الخطاب السياسي فلقد ربط نهجه بالله تعالى، مبينا اتصال خطه الإصلاحي بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبينا صفات الخالق العظيمة وتفرُّده بالربوبية والرضا بما قَدَّرَه سبحانه؛ لتكون مقدمات إقناعية لمن شهد عصره أو من سيأتي من بعده أنَّ أهل البيت عليهم السلام ليسوا طلاب دنيا بل هم قادة روحيون من تمسَّك بهم فقد استمسك بالعروة الوثقى؛ لأنه اختار من البشر الأجدر بالاحتذاء والأطهر بشهادة رب السماء.

- استعمال الحجة والدليلين النقلي والعقلي لإقناع السامعين ولاسيما من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأقوال المأثورة والأبيات الشعرية السائرة والأمثال العربية.

- استعمال الأساليب البلاغية الإقناعية الأكثر تأثيرا؛ مما يدل على تمكُّنه من ناصية اللغة ومعرفته الدقيقة بأفانينها، ودقَّته في تناول أساليبها. وهذا ما ظهر جليا في أثناء البحث بمباحثه الثلاثة.

- إن من يقرأ خطبتي الإمام الحسين عليه السلام الفرق في أسلوبيهما.

ففي خطبته الأولى كان أسلوبه هادئا مرشدا تخلَّلته الحجج والبراهين النقلية والعقلية، منها ما كان نقليا قرآنيا ألِفوه وسمعوه مرارا عند تلاوة من يقرأ القرآن منهم، ومنها ما كان عقليا خاطب ذوي الألباب من خلال أثارته أسئلة تجعل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد متفكرا متأنيا عند سماعه؛ ولم يدخر وسعا في التذكير؛ لكن دعواه لم تلقَ آذانا صاغية فقد طُبع على قلوبهم؛ لذا اختلف أسلوب خطابه في خطبته الثانية بعد أن وثق من عدم الجدوى من هدايتهم، وبانت ألفاظه الشديدة ذات الجرس القوي التي تنمُّ عن شدة تناسب هول الموقف وبرز فيه الوعيد الشديد بإذلالهم وإهلاكهم كما فعل بالأمم التي

كذبت الأنبياء عليهم السلام فجعلهم الله أحاديث ومزَّقهم كل ممزَّق.

- لقد ظهرت الآيات القرآنية الكريمة في جميع خطابه لتفصح عن مدى ارتباطه بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد طعم كلامه بكلام الله حتى لا فكاك له منه.

- استثمر الإمام الجانب التنغيمي من خلال الإفادة من أساليبه المتمثلة في السجع والجناس الناقص والتكرار الصوتي واللفظي والجملي؛ ليجعل التكرار وسيلة لترسيخ الفكرة التي يتحدث عنها.

- سخَّر الإمام قدرته البلاغية وسرعة بديهته ومبلغ علمه في كشف زيف إدعاءات خصومه و إظهار الحقائق التي حاول الأعداء التعمية عليها وإزالة التعتيم الإعلامي عن شخصيته وإبداء صورتها الحقيقية للناس ليعرفوا معادن الموجودين على الساحة السياسية فميزوا الخبيث من الطيب.

- أفاد الإمام الحسن المجتبى - عليه السلام - من طاقات اللغة ووسائلها الإقناعية التركيبية والبيانية والبديعية على حد سواء.

- أفاد الإمام من الموازنة بينه وبين خصمه في خطابه السياسي مما رسم صورته الإيجابية الناصعة التي تمثل خط الالتزام بالمبادئ والقيم بمقابل صورة خصمه التي هي على الضد من صفاته فكان سمو الإمام عاكسا لدنو خصمه نتيجة تلك الموازنة، مستثمرا تقنية الإجمال والتفصيل التي أثارت عنصر المفاجأة لدى المتلقي؛ لتثيره في الإمعان في الاستماع والإنصات لحجج الإمام عليه السلام.

- أبرزت معركة الطف الشخصية الفريدة الحسين عليه السلام في شدة بأسه وشجاعته، وفي عمق تعبُّده وفهمه للدين الحق الذي أنزله إلى المعاملة والتطبيق، والى مقدار ما تحلَّى به من الخلق الرفيع الذي استحق به وبما وضعه الله فيه من المؤهلات من علم وحلم وحنكة ونباهة ودراية وغيرها أن يكون سيد شباب أهل الجنة ورابع أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرا.

- يتضح للمتأمل أن ثورة الإمام عليه السلام ليست صرخة في واد، بل هي جذوة في قلب كل

مؤمن رافض للظلم والعدوان في وجه التعسُّف والطغيان وهي شعلة تنير دروب الأحرار في كل مكان من الأرض.

Abstract

The one who reads the letter of Imam Hussein, peace be upon careful reading, touching it has some great ability to persuade, has Imam realized his thought piercing importance of clarifying the facts and the statement by taking the argument on opponents by description, dialogue and soliciting and what God-given genius managed to revolution blessed landmarks which harness the energies of the Arabic language and to benefit from synthetic structures in outdoing the opponent and clarify renaissance blessed. Not landmarks of his contemporaries and by, but for future generations ,in which he gave them lessons, including the present era we are in dire need of paradigm of the rejection of injustice and Mgarath and revolt against it no matter how high his voice, and multiplied his influence.

The speech of Imam Hussein, peace be upon him has been marked by eloquently and accurate words and phrases in the use of each method in place as required by the context, in accordance with the appropriate use of Holy Qur'an discloses being a Ahlulbayt they amended the Koran.

This is what research through the analysis of the speech of Imam Hussein, peace be upon him in the tuff and indicate overwhelmed by means of persuading rhetorical collaborated three Rhetoric of Science (meanings and Budaiya and the statement) to be highlighted, indicating that the method persuasive in Khtptih differs: In the first it was quiet in the tone of his words and methods Trakiph; fits guidance while in the second he was strict in his words and methods Trakiph statement which fits the intensity of the anger of the Imam as a result of the insistence of the target audience on corruption and a determination not to benefit from the advice and profess to deny all the evidence despite their disbelief and the acknowledgment.

هوامش البحث ومصادره

(١) أعلام الهداية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، مط ليلى، ط١، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ ق: ٧/٤.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي، للتابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي (و٢ قبل الهجرة - ت٧٦ هجرية) تح محمد باقر الأنصاري الزنجاني مؤسسة نشر الهادي، قم المقدسة: ٦٢٤/٢.

(٣) الاحتجاج لأبي منصور احمد بن علي بن أبى طالب الطبرسي تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، طبع في مطابع النعمان النجف الاشرف، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م: ٣٦٣/١، وينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣هـ) تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع: ٣٢٣/١. كما أورده سليم بن قيس في كتابه: ٦١٦/٢ برواية أخرى.

(٤) بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤.

(٥) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، رابطة أهل البيت الإسلامية العالمية، قم المقدسة، ط١، ١٣٧٦ هـ. ش: ٢٣٩.

(٦) ينظر: في بلاغة الحجاج والإقناع، رسالة ماجستير، أيمن أبو مصطفى، مقدمة الرسالة، منشورة على شبكة الأنترنت، ملتقى أهل التفسير، ملتقى الرسائل الجامعية في الدراسات القرآنية.

(٧) الملهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، ت ٦٦٤هـ، تح الشيخ فارس تبريزيان (الحسون)، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام (٤٢)إعداد مركز الأبحاث العقائدية: ١٥٤.

(٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. ١٧٢/٤ رقم الحديث: ١٧٥٩٧

(٩) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٧.

(١٠) السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الجزء الخامس دار الكتب العلمية بيروت - لبنان د.ت: ٤٩/٥.

(١١) المسند الجامع المعلل لأبي الفضل السيد أبو المعاطي النوري ت ١٤٠١ هـ، تح د. بشار عواد معروف أحمد عبد الرزاق عيد، وأيمن إبراهيم الزاملي ومحمود محمد خليل ط٢، د.ت: ٢/٢.

(١٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٥ ــ ١٤٦

(١٣) م.ن: ١٤٦.

(١٤) م.ن: ١٤٧.

(١٥) م.ن: ١٥٥.

(١٦) م.ن: ١٥٦.

(١٧) م.ن: الصفحة نفسها.

(١٨) م.ن: الصفحة نفسها.

(١٩) م.ن: الصفحة نفسها.

(٢٠) سورة يونس: ٧١.